مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد 08 / العـدد: 02 (2022)، ص229- 241

التعمير البشري لإقليم الساورة من خلال النافذة الأثرية لمخلفات الثقافات الإنسانية لفترة ما قبل التاريخ

The human reconstruction of the Al-Saoura region through the archaeological window of the remains of human cultures for the prehistoric period

خلفي عبد الغاني[*1]، نقادي سيدي محمد[2]
[1] جامعة مصطفى اسطمبولي -معسكر (الجزائر)، abdelghani.khalfi@univ-mascara.dz
[2] جامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان (الجزائر)، smnegadi@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/06/16 تاريخ النشر: 2022/12/25

ملخص:

إن أهم المكتشفات الأثرية التي أذهلت علماء الآثار في العالم كافة والجزائر خاصة والمهتمين بالتراث ، هي مخلفات أنسان ما قبل التاريخ ، هذه الأخيرة التي أثارت الفضول بينهم بكل ما تحمله في طياتها من مقتنيات تعود إلى فترات غابرة من الزمن . والتي من خلالها يتم معرفة فترات التعمير البشري بها ، باعتبارها مسرح للحياة البشرية في تلك الفترة . وتعد الصحراء الجزائرية مثالا حيا عن هذا الإرث بما فيها إقليم الساورة موضوع الدراسة الذي يضم العديد من المواقع تعود لهذه الفترة ، وكذا غناه بالثقافات الحجرية ولوحات الفن الصخري في أطرافه المترامية والمتوزعة على معظم بلدياته ودوائره، نذكر من بينها موقع المقسم بكرزاز. موقع مرحومة ببني عباس موقع الحجرة بتاغيت . ومواقع تبلبالة ....وغيرها كثير.

كلمات مفتاحية: ما قبل التاريخ.، الساورة.، الثقافات الحجرية.، مرحومة.، التعمير لبشري.

Abstract:

We consider the remains and remains of prehistoric man as the most fascinating archaeological discoveries for archaeologists, as well as for heritage professionals in general, this prehistory which always fascinates us and which reveals our curiosity about its objects which date back to very distant times. These remains allow us to recognize the periods of human settlement, as well as its evolution, since they represent the daily life and behavior of prehistoric populations in each period The Algerian Sahara is considered the best field of exploration, which informs us about the richness of this heritage, in this case the region of

[*] المؤلف المرسل

Saoura which is located in the south-west of Algeria, our field and subject of study on several sites of lithic industries and prehistoric rock stations, which extend over the whole territory, for example the El Meksem site in Kerzaz, the Marhouma station in Beni Abbes, the El Hadjra station in Taghit as well as the Tabelballa sites and other sites which are numerous
Keywords: prehistoric; Saoura; lithic industries; Marhouma; human reconstruction.

1. مقدمة:

إن منطقة الساورة سميت كذالك نسبة إلى واد الساورة وكل الأماكن التي يمر بها . بمعنى أنه ينطلق من بلدية إيقلى (الجنوب الشرقي لولاية بشار), مكونا من واديين هما غير و زوزفانة (خلفي، 2008: 15). ثم يجوب بعد ذلك كل البلديات التابعة للاقليم ليغوص في الكثبان الرملية التابعة لتيميمون وجزء منه يلتف حول منطقة فم الخنق ليعود إلى منطقة بين أولاد خضير وكرزاز مشكلا سدا طبيعيا وهو ما يدعى بـ بحيرة (النشيحة) (خلفي، 2008: 16.15) وكان قد أرجع أحد الرحالة ببلاد المغرب أصل تسمية الساورة إلى شكل الجبال التي تشبه الأساور والواد يعتبر بمثابة المعصم فمن الأساورة جمع إسوار تحول الإسم إلى الساورة لتسهيل النطق(العياشي، 2006: 78.77) .

أما إقليم الساورة فيمكن أن نطلقه على جل البلديات المكونة لولاية بشار هذا إن ام نقل منطقة الجنوب الغربي. ويبعد عن العاصمة بمسافة تقدر بـ 1000كلم, وتبلغ مساحته بـ 116400كلم يحده من الشرق ولاية أدرار ومن الغرب المملكة المغربية ومن الشمال كل من ولايتي النعامة و البيض اما من الجنوب فنجد كل من ولايتي أدرار وتندوف(سليماني، 2007: 168.167) .

وهذا بحكم الوحدة الجغرافية والمناخية وإشتراكهم في أغلب المزايا و المميزات . حيث أن مصطلح إقليم كي يطلق لابد من توفر التشابه في مجموعة خصائص واللتي نذكر منها :

- الوحدة في الخصائص الطبيعية ومن بينها التضاريس(مرتفعات سهول هضاب)
- الوحدة في الخصائص المناخية اي ان يكون المناخ اللذي يسود الاقليم موحد مع مراعاة عامل الزمن .

. الوحدة في الغطاء النباتي والثروة الحيوانية بشتى انواعها

فإذا توفرت كل هذه العناصر في كامل القطاع يمكننا تسمية المنطقة بالإقليم(خلفي، 2008: 17)

وتعتبر منطقة إقليم الساورة ضاربة في القدم والتاريخ والعصر والشاهد على ذلك هي المحطات التي خلفها إنسان م ق ت، التي تكتسح معظم مناطق الإقليم والتي تضم ثقافات حجرية متعددة ومحطات للنقوش الصخرية منتشرة بكثرة والتي تعد حاليا بمثابة المتاحف الطبيعية والمفتوحة على الفضاء الخارجي(خلفي، 2008: 31.30), وغيرها من المعثورات التي سوف يأتي بيانها في الفصول اللاحقة مع الصور وهي موضوع الدراسة

2. نماذج من مواقع الثقافات الحجرية بالاقليم:

1.2 موقع واد انشال :

حيث يقع واد انشال 50كم عن قرية لوقارتة التابعة لبلدية بني عباس ويقع بالضبط قرب العرق الراوي في الحدود مع دائرة تبلبالة وبما ان الكثبان الرملية تحيط به من الجهة الشرقية يعتبر موقع استراتيجي لاستقرار الانسان حوله وهو ما خلف لنا كم هائل من الثقافات الحجرية المختلفة *(*chavaillon*, 1964:5)* ومن بين أهم الثقافات التي عثر عليها بالموقع نجد :

الفاس الحجرية وهي اداة لوزية الشكل لها جانبين احدهما مدبب وحاد والاخر مسطح وتوجد بكميات كبيرة في الموقع *(*chavaillon*, 1964:324)* .كما نجد ايضا بعض الثقافات الحجرية الاخرى مثل رؤوس السهام وهي عبارة عن رؤوس حجرية مصنوعة من الصوان طرفها حاد واخر مسطح وتثبت في عوارض خشبية لتصح على شكل رمح . إضافة الى الشفرات والنصال والنصيلات وهي عبارة عن ثقافات حجرية قزمية تستخدم كسكاكين وعدة وظائف اخرى*(*chavaillon*, 1964:224.230)* .أنظر الصور في الملحق (1و2و3و4)

2.2 موقع عين الضب بكرزاز:

كرزاز دائرة من دوائر اقليم الساورة مند سنة 1986 تبعد عن بشار ب 330 كم عبر الطريق الوطني 6. يتركب إسم كرزاز من لفظتين كر وتعني **مهرب** *وزاز* وتعني **المعركة**، حيث أنها إعتبرت في القديم ملجأ للعديد من العائلات التي فرت من الحروب وإستقرت بها حيث كان يسود السلم. وبكرزاز العديد من المواقع التي تعود لفترة ما ق ت نذكر منها موقع عين الضب*(Fitte, 1914:364)* بالقرب من صبخة الملح في سهل شاسع محاط بكتلة صخرية جبلية تحده شرقا كرزاز المدينة وغربا العرق العطشان يمكن الوصول اليه من واحة كرزاز مرورا بسلاسل الجبال حوالي 48 ساعة , وتم العثور في هاذا الموقع العديد من الثقافات الحجرية منها ما هو موستيري ومنها ما هو عاتري ومعضمها مصنوعة من الصوان منها المكاشط والشفرات اضافة الى رؤوس السهام انظر اللوحات (5و6)

3.2 موقع خنق التلايا بقرية لوقاتة:

وهي احدى القرى التي تقع في الضفة اليسرى لواد الساورة وهي تابعة اقليميا لدائرة بني عباس . وتتوفر على العديد من مواقع ما ق ت ومن بينها موقع خنق التلايا ، وهو مضيق بين حافتين يجتمع فيه مياه الوديان الثانوية التي تجري بالموقع مثل واد فارس وواد العقبة وقد تم تحديد مكانه بين درجتي 30و50 خط عرض شمالا و 2و40 خط طول غربا*(chavaillon, 1964:132)* هذا الموقع جرت فيه العديد من الابحاث في الفترة الممتدة بين 1954حتى 1957. حيث تم العثور على مجموعة من الادوات الحجرية المختلفة الحضارات منها ماهو عاتري ومنها ما هو آشولي ، كما وجد ايضا ثقافات حجرية تعود للعصر الحجري الحديث .ونجد من بين هذه الثقافات النواة الحجرية ، والسواطير ، والمكاشط وغيرها من الادوات*(Fitte, 1914:364.365)*

3. نماذج من مواقع محطات الفن الصخري بالاقليم الفن الصخري واهميته في دراسات ما ق ت

يشكل الفن الصخري عاملا هاما واساسيا لفترة ما ق ت الصحراوي ويضم العديد من النقوش والرسومات الصخرية ، وقد كشفت هذه الشواهد الاثرية العديد من الاشكال الادمية والحيوانية المعبرة عن تلك الفترة والتي تحتاج الى دراسات مفصلة وعميقة لمعرفة اهميتها وما توحي اليه وكذا من اجل فك لغزها. ومن بين اهم محطات الفن الصخري الصحراوية بافليم الساورة نجد.

1.3 محطة مرحومة:

تعتبر مدينة بني عباس قديمة من حيث التعمير البشري والشاهد على دلك تلك النقوش الصخرية المتواجدة بمحطة مرحومة التي تبعد عن مركز الدائرة ب20 كلم والتي تعتبر حاليا بمثابة متحف طبيعي(خلفي، 2008: *63*) أثري مفتوح وتعد محطة مرحومة الواقعة ببلدية تامترت دائرة بني عباس وهي عبارة عن قرية فلاحية عن اليسار تحده كثبان رملية التابعة للعرق الغربي الكبير ومن اليمين واد الساورة ومرتفعات لوقارتة ا(Alimen, *1906:5.6.7*). وموقع مرحومة من أهم محطات منطقة الساورة لذا خصصناها بالدكر وجانب من الدراسة ، والتي اكتشفت من قبل القائد الفرنسي "فيلا لونغا"(villa longua) .وكان ذلك في الفترة الاستعمارية ا(Alimen, *1906:9*). في10نوفمبر1951.ثم قام بتكليف الباحث و الجيولوجي الذي كان يدرس المنطقة من الناحية الجيولوجية وجهزه بكل الوسائل اللازمة لدراسة المنطقة، والإحاطة بكل جوانبها مع التوفيق بينها وبين دراساته الجيولوجية. ا(Alimen, *1906:12*). هذه المحطة التي تحتوى على عدة واجهات صخرية منقوشة تجسد عدد من الاشكال الحيوانية والادمية وبعض الاشكال والرموز المبهمة انظر الصور(7و8و9و10)

2.3 محطة موقع الحجرة بتاغيت:

وهي تابعة إقليما إلى ولاية بشار في وسط إقليم الساورة في الجهة الشرقية للولاية، بحيث تبعد عنها ب 93كلم تتربع على مساحة تقدر ب 8040كلم متكونة من ستة تجمعات سكانية :زاوية الفوقانية ،تاغيت المقر الإداري، بريكة بربي ،بختي،و الزاوية التحتانية (Duvollet, *1987:12*).. مكان تواجد المحطة التي نحن بصدد دراستها .

1.2.3 تاريخ الأبحاث:

عرفت منطقة الجنوب الوهراني إنطلاقا من البيض بعد دراسات لمحطاتها الصخرية منذ سنة 1955 حتى 1964 والدليل على ذلك كتاب هنري لوت (الرسومات الصخرية في الجنوب الوهراني في سلسلة الأبحاث والمذكرات للمراكز الانتروبولوجية وما قبل التاريخ والاثنوغرافيا).الذي نشر سنة 1970(Alimen, *1966:s.p*). وبعد ذلك تواصلت الأبحاث وصولا إلى منطقة الساورة التي عرفت عدة مناطق للرسوم الصخرية منها موقع مرحومة سالف الذكر،والزاوية التحتانية موضوع الدراسة،حيث كان القبطان ديفوالباق لدراستهاعام 1902،وفي عام 1904 الباحث قوتي،أما عام1905الباحث فلامان،وحاول الباحث ألمان منذ المهمات الأولى لها بالتطرق إلى هذا النقوش الصخرية إلا أن الجانب الدراسي لجيولوجية المنطقة والاهتمام به أكثر حتى دون تطرق أو دراسة هذه النقوش الصخرية ونظرا لنقص الأمكانيات وظروف الصعبة ولكن أعادة المهمة في سنة 1966أين قامت بنشر دراستها حول نقوش الصخرية لزاوية التحتانية. ويعد هذا الموقع الواقع على بعد 90كلم جنوب كولومب بشارفي حوض واد زوزفانة من أقدم المحطات المعروفة في الصحراء (Alimen, *1966:s.p*) ، يحده من جنوب بلدية تاغيت،ومن الشمال هضبة زوزفانة، ومن شرق الحمادة أما غربا واد زوزفانة، يبعد هذا الأخير عن بلدية تاغيت الحضرية بحوالي 8كلم ، يعود تاريخه إلى فترة ما قبل التاريخ وتدل على ذلك النقوش التي طبعت فوق الكتل الصخرية ، والذي يمتد على طول198م وعرضا51م . وهي

الاخرى تضم عدد لابأس به من النقوش الممثلة لالشكال الحيوانية والانسانية . انظر الصور (11و12و13و14).

4. مواقع الفضاءات الجنائزية المدفن :

هو مكان ايداع الميت او عدة اموات ، حيث نجد دلائل كافية تسمح للمختص في علم الاثار بان يتبين في هذا المستودع الرغبة في تادية ممارسة طقس جنائزي(عميري،روبة 2012: 23). شغل الموت عقل الإنسان منذ القدم، وكان أكثر ما يخافه على سطح الأرض.. لذلك حاول إيجاد تفسير له، أو إيجاد طريقة تجنبه الوقوع في هذا المجهول الذي لم يختبره أحد وروى تفاصيله.. ولما لم يستطع، أقنع نفسه بأن الموت ليس نهاية، وإنما لحظة انتقالية من مرحلة إلى أخرى.. أو أن الموت يتعلق بالجسد فقط بينما الروح تبقى حية بأشكال مختلفة.. وغيرها من الأفكار والمعتقدات.. وفي الحضارات القديمة التي تعود لعدة آلاف قبل الميلاد، كثيرة هي الأساطير والقصص القديمة التي تتحدث عن تلك المحاولات، أو الحلول الجزئية.. منذ أقدم العصور وحتى أحدثها، وطريقةٍ ويبدو أن نظرة الإنسان للموت لم تختلف كثيرا ٍ تعامله مع جثة الميت من حيث طقوس وطرق الدفن وأنواع المدافن.. وإن اختلفت شكليا لكنها تشابهت من حيث المضمون.. و الشيء نفسه يقال عن فلسفة الإنسان حول الموت ومصير الروح العصور الحجرية (قبل التاريخ) حوالي الألف سنة ق م) (عميري،روبة 2012: 24.23) ، يعتقد أن إنسان النياندرتال هو في العصر الحجري القديم (مليون سنة . أول من دفن موتاه قبل حوالي مئة ألف سنة، في قبور فردية وجماعية بسيطة محفورة في بعض الزهور..ٍ بعض الأسلحة الصوانية والحلي الحجرية وأحيانا ٍالأرض، ووضع فيها أحيانا مما جعل البعض يعتقد أنه آمن بحياة أخرى بعد الموت، أو بخلود الروح(عميري،روبة 2012: 24). وفي نوع التومولوس يبنى مدفن مؤلف من عدة قاعات ويطمر بكومة من الردميات والحجارة ليشكل هضبة كبيرة يقع المدفن داخلها. وفي المدافن الرجمية، يبنى قبر بسيط، يطمر بنفس طريقة

التومولوس. تلحق بها بعض ء بدائرة أو دوائر من الحجارة.. وأحيانا تحاط تلك النماذج الثلاثة السابقة أحيانا المنشآت البسيطة، وتكون عادات الدفن عادية ضمن تلك القبور.

وبشان المعالم الجنائزية الموجودة بالصحراء التي لم تكن معروفة من قبل اطلق عليها تسمية المدافن الما قبل اسلامية لشمال افريقيا عوض مصطلح ما ق ت ، ويعد موقع تيت الموجود شمال تمنراست من اهم المواقع التي تمت دراستها وحفر معالمها الجنائزية(غانم. 2003: 29.25) .

ومن بين الفضاءات الجنائزية الموجودة باقليم الساورة والتي تم اكتشافها مؤخرا اثناء زيارتي مع بعض الباحثين في مركز ابحاث ما قبل التاريخ بالجزائر وهي لازالت تنتظر الدراسة نجد :

1.4 الموقع الاول خنيق لعطل:

بالقرب من واد انشال سالف الذكر وهي عبارة عن مواقع للدفن توجد في سفح الجبال وهي نوعان قبور هلالية الشكل واخرى دائرية وتدعى بالتيميلوس انظر الصور (15و16).

2.4 الموقع الثاني قرب محطة النقوش بمرحومة:

تتموقع قرب بناية بالحجارة مجهولة المصدر حيث تحدث عنها الباحث المنت وقال بأنها تعود للفترة الاسلامية لكن بعد اكتشاف فضاء جنائزي اسفلها تغيرت المعطيات حيث هي قبور تشبه التيميلوس ويرجح أنها تعود لفترة الجمال انظر الصور (17و18).

5. خاتمة:

ان اقليم ومنطقة الساورة تعتبران من الأماكن التي استوطن بها انسان ما قبل التاريخ وعاش بها مدة طويلة من الزمن كما مارس فيها العديد من النشاطات والتي تدخل ضمن حياته اليومية . ومما يدل على تواجد الانسان الساوري في تلك الفترات هو ما خلفه من شواهد مادية تعتبر بمثابة نصوص ومصادر تترجمها نتائج الدراسات والتحاليل لتكشف الغموض ولو نسبيا عن تلك الفترات الموغلة في الزمن , هذه الشواهد التي بيناها في المتن وتدعيمها بالصور والتي

استخدمناها كنافدة اثرية نطل من خلالها على تلك الفترة وهذا بالاستعانة بذلك التخصص الجديد الذي لاح في افق علم الاثار وهو علم الاثار التجربي الذي يعتمد على التجربة كاساس لاثباث الحقائق مستعينا بذلك على كل من الاسقاط والمقارنة . ومن خلال ذلك تبين ان ما تم العثور عليه في الاقليم من شواهد تتمثل في الثقافات الحجرية بشتى انواعها ومحطات الفن الصخري المنقوش والفضاءات الجنائزية خلفها انسان ما ق ت .

ويجب الاشارة بان بحثنا قد تضمن بعض النماذج فقط فما هو مكتشف من المواقع كثير جدا ومن لم يكتشف اكبر نظرا للطبيعة الصحراوية وما تخفيه الكثبان الرملية . لذا يمكنني ان اختم بإشكالية تفتح أفاق البحث في المنطقة وهي هل يعتبر ماتم العثور عليه من مواقع ما ق ت في اقليم الساورة كافي ؟ وهل يبقى اعتمادنا على الدراسات الاستعمارية للمنطقة فقط ؟ وماهي السبل الناجعة للنهوض بمجال البحث في علم الاثار بالاقليم ؟

6. ملحق الصور :

الصور رقم 1،2،3،4 تمثل نماذج من الثقافات الحجرية بموقع واد انشال بلوقارتة وهي ممثلة في الحجارة الكروية والفأس الحجرية والنصال .

الصور رقم 5،6 تمثلان صور لبعض الثقافات الحجرية من موقع عين الضب بكرزاز وهي عبارة عن رؤس سهام ومكاشط

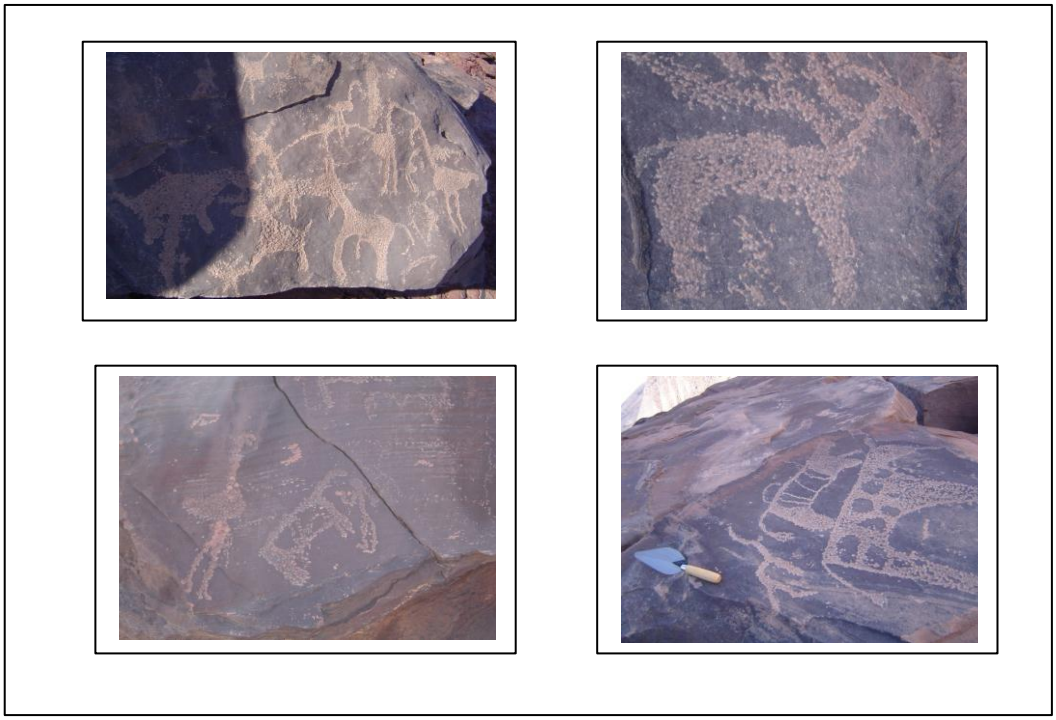

الصور 7و8و9و10 تمثل بعض النقوش الصخرية لموقع محطة مرحومة وهي تمثل بعض الحيوانات كالنعام والغزلان والبقريات إضافة الى الشكل الآدمي

الصور 11و12و13و14 تمثل نماذج من الواجهات الصخرية المنقوشة بمحطة الحجرة بتاغيت وهي تمثل في غالبيتها مشاهد حيوانية البقريات الغزلان الاسد

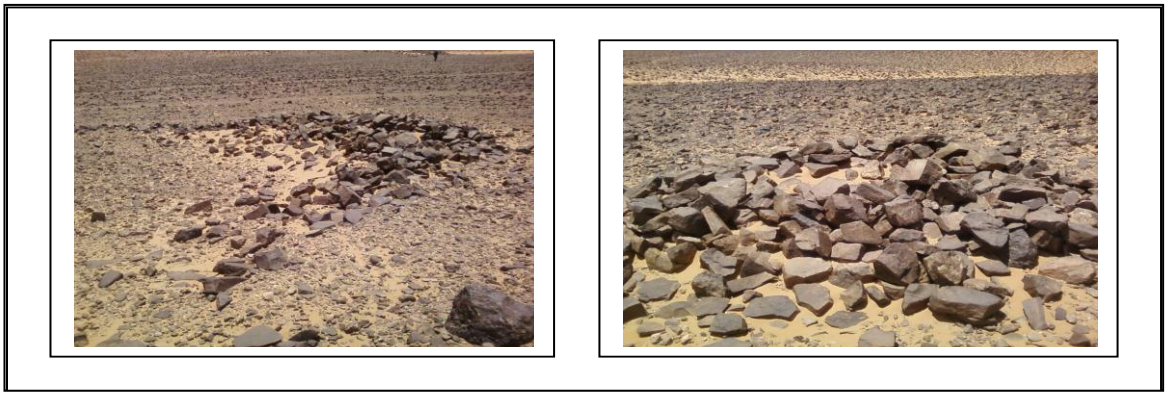

الصورتين 15و16 تمثلان نوعين مختلفين من القبور الجنائزية بمنطقة خنيق لعطل بلوقارتة النوع الاول التيميلوس المستديرة والنوع الثاني القبور الهلالية

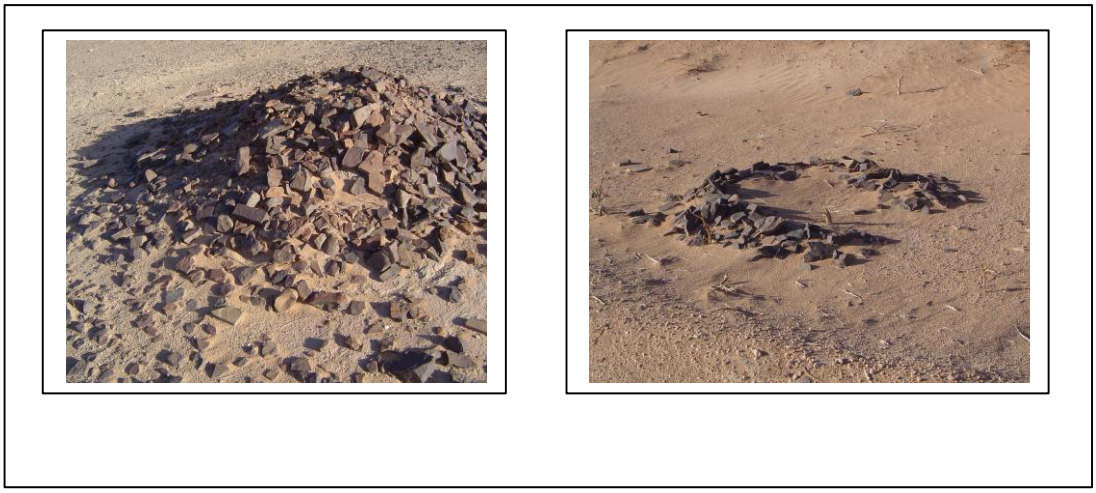

الصورتين 17و18 تمثلان نوع من الفضاءات الجنائزية وهو قبور التيميلوس بمنطقة مرحومة بالقرب من محطة النقوش احدهما تعرض للتلف

القائمة الببليوغرافية :

المصادر و المراجع بالعربية :

1- العياشي ،أبو سالم(2006) .*الرحلة العياشية إلى الديار النورانية* ، تح سعيد الفاظلي وسليمان القرشي المجلد 1 ،دار السويدي .

2- سليماني، أحمد (2007).*تاريخ المدن الجزائرية* ، دار القصبة الجزائر .

3- عميري، ابراهيم، روبة، سوزان(2012). *المدافن و الطقوس الجنائزية في العصور الكلاسيكية في ريف دمشق*، منشورات المديرية العامة للاثار والمتاحف وزارة الثقافة دمشق .

4- غانم، محمد الصغير(2003).*معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر*، دار الهدى للنشر الجزائر.

5- خلفي، عبد الغاني(2008). *الفن الصخري في اقليم الساورة مظاهر تلفه وأهم مقترحات صيانته منطقة مرحومة ببني عباس أنموذجا* .مذكرة ماجيستار، ،معهد الآثار الجزائر .

المراجع باللغة الاجنبية :

6- Fitte, Paul(1914) *la station préstorique du puits dain-ed-dhob(sabkha-elmallah sahara occidental).* t44.n 11-12 ,bulletin de la société préhistorique de France .

7- Chavaillon, John(1964) . *formations quaternaires de sahara nord _ occidental* c n r s serie géologie n5 p de lagha alger .

8- Alimen, Henriet(1906). *La station rupestre de Marhouma*. Mémoire n◈1. Institut de recherches sahariennes .

9- duvollet ,Roger(1987). *villages d algérien et oasis du sahara*,tome7,

10- Alimen, Henriette, Alimen, Haile (1966) *gravures rupestres de la station de tahtania pres de taghit(sahara nord_occidental).*